عهد السينما الفلسطينية المقاتلة

(١)

هـاني ... سنسمح لانفسنا بالبكاء

هاديء حتى الانفجار .. يحاصر كل شيء بهدوء ، من شاشة المتحف حتى عينطورة .. ويختصر التاريخ مكثفا في دقائق فاتحا الجراح على كل الجبهات ،

وحين كان يحمل الكاميرا ـ الرشاش ليصور لقطة لم يكن يفكر ان نبأ استشهاده لن يكون احدى لقطات فيلم جديد او خبر تسجيلي قادم ، وهاني المخرج والمصور والمقاتل لم يحقق كل طموحاته ولم يصل الى ما يريد تماما لان طموح هاني وما يريده هاني كان الفلم الفلسطيني الذي يعرض في أزقة يافا وساحات حيفا وابواب القدس ويحكي عن تاريخ تحرير فلسطين ، وهاني في هذه المسألة لم يكن متواضع الطموح ابدا لا لانه مغرور او حالم ولكن لان شعبه كان في كل خطوة وطلقة يتخطى اطر الاحلام والغرور مؤكدا حتمية الوصول الى البحر بعطائه وزخمه الثوري ، ولم يكن استشهاد هاني الا تاكيدا جديدا لهذه الحتمية ، وهاني المصور والمقاتل لم يصور كل شيء عن فلسطين ولكنه كان يحفظ كل اسماء الافلام التي صورتها عيون اطفال فلسطين واختزنتها في الذاكرة .. وهاني المقاتل باستشهاده قال لنا الشيء الكثير وحدد ملامح السينما المطلوبة والمصور المطلوب والمخرج المطلوب : حدد مكان الفلم بساحة القتال والصراع ، وحدد مكان المصور والمخرج تحت القصف ، وحدد ملامح الممثل المطلوب ، الممثل الذي لا اسم له سوى الشعب بأسره يمثل تاريخه ونضاله والكاميرا تختلس بعض هذا التاريخ وهذا النضال .

هاني جوهرية ، هذا الاسم الهاديء حتى الانفجار لم يكن اسما علما في تاريخ الصحافة العلنية والسرية ، لكنه كان العلم البارز تحت القصف تعرفه قرى الجنوب والاسمنت المتطاير والشوارع الساخنة ، تعرفه شظايا القنابل على اختلاف انواعها فكم من مرة داعبت اذنيه بازيز الموت ، متراجعة أحيانا وزائرة للحمه وعظامه احيانا اخرى ، علما واي علم كان في هذا المجال ، وهل اجمل من الشهيد علما ؟ .. وهل اعظم منه آية ، وهل هناك اروع من مقاتل يقاتل باللقطة .. ومن مصور يقاتل بالطلقة ؟ وهاني كان هذا وذاك .. وهاني كان الشهيد الذي قدم الشهداء رمزا للعطاء ولم يقدم نفسه مخرجا او مصورا وكان دائما يقول هم كل شيء هم البطل ، والمصور والمخرج .. هم كل شيء .. وهاني كان بعض هذا الشيء ، هاني الذي كان احد الجنود المجهولين الذين كانوا يسرقون الكاميرات من وكالة الفوث ليسجلوا البطولات معرضين انفسهم للفصل ، ويضعون لقمة عيشهم على ابواب الانقطاع ، ويضحون بكل شيء ولا يأخذهم بريق المعاش ولا الاضواء ويلقون الضوء على قضية شعبهم ومن الصفر كانت البداية .. لا امكانيات، لا تمويل ، لا كاميرات ، لا افلام ، لا استديو ، وكل شيء كان مفقودا الا الشعب المقاتل العظيم والثورة المسلحة ، وهاني ومصطفى وسلافة كل شيء كان مفقودا الا هذه الاشياء ، وتدور البندقية على كل الاتجاهات والمحاور وتدور الكاميرا على كل الزوايا ، وفي كل زاوية كان الموت بالانتظار ، وفي كل لقطة كانت طلقة تحاول اختراق العدسة والعين والجسد ، ولكن القضية كانت اكبر من كل شيء ، اكبر من الطلقة واغلى من العين والعدسة ، ويجتمع الناس ليشاهدوا بدقائق ما حققه هاني ورفاقه بأيام وايام وربما سنوات ، ويكون التقدير اكبر والاعجاب اكبر وفي لحظة ينسى التعب والجهد ... ينسى كل شيء ويحمل البندقية والكاميرا ويقتحم اخطر الجبهات واعقد الزوايا ، ويرتفع اسم فلسطين في عالم السينما كما ارتفع في كل الجبهات والمحافل عاليا .. وفلسطين تصبح تحت الاضواء ، وهاني يرفض ان يخرج من دائرة الظل .. فالقضية اكبر من كل الاسماء .. اكبر من كل العدسات .. وفي عينطورة يخرج هاني كعادته حاملا البندقية والكاميرا .. ويسقط هاني الجسد شهيدا .. ويبقى هاني البندقية .. هاني الكاميرا . هاني الرمز المبدع الذي سترتفع صورته في صالات العرض في يافا والقدس مؤسسا للسينما الفلسطينية المقاتلة ، وستعرض افلام هاني جوهرية في هذه الصالات وتلك الساحات ، ويومها سنسمح لانفسنا بالبكاء .

مؤيد البحش

فلسطين الثورة (بغداد)

٢٢ نيسان ١٩٧٦

* * *

(٢)

مناضل ولا كل المناضلين

كان ثالث ثلاثة خلقوا الفن السابع الفلسطيني ،

كان رجلا لا يعرفه الناس ، لا يتداولون اسمه على صفحات الصحف سيارة او غير سيارة ، لكنه كان يعرفهم جميعا ، ويدخل الى كل بيت والى كل قلب واحبوه دون ان يعرفوه .

كان يحمل مصورته وبندقيته ويقطع النهر يقاتل ويصور ، وفي القاعدة ثمة مختبر صغير اقامه ، بعيد المصورة الى وكالة الفوث حتى بدء العملية فيستعيرها دون استئذان ثانية وهكذا دواليك .

كانوا ثلاثة ، ولم يكن بتصورهم انهم وهم يؤرخون للثورة سيخلقون تاريخا جديدا على امتداد السينما العربية والعالمية ، كانوا الفتاة سلافه والمخرج مصطفى ابو علي وهو المصور هاني جوهرية ، كانوا يطمحون لعمل فيلم فلسطيني واحد ، فاذا بهم من خلال العمل

←

والعمل الدؤوب وحده يخلقون سينما فلسطينية ، سينما النضال العربي وتدخل افلامهم القارات الخمس سرآ في اكثر الاحيـــــان وعلنا في احيان قليلة .

الناس تختبيء من الغارات الجوية والقصف المدفعي الا هويصوب بندقيته حينا ويصوب مصورته حينا اخر ، كان فنانا مقاتلا .

وقبل استشهاده بأيام كنا معا هنا في بغداد ، فقد اصبح لافلام فلسطين مهرجانها ، وجاء الفنانون المناضلون كبارا وصغارا ، خفافا وثقالا ، يحوم حولهم الصحفيون والصحفيات ، فالشهرة بريـــق يبهر حتى المناضلين الا هو . فقد تعامل مع الكاميرا كبندقية وبندقية فقط ، واجره للحديث وارجوه ، فهذا الحشد السينمائي الهائـل بدأه هو قبل سنوات بكاميرة يسرقها ويعيدها فيجب ان يتحـدث وما هي الا كلمات على ذلك المسجل الارعن ويعتذر .. انه على عجلة للعودة الى ساحة القتال .

ويعود الى عينطوره حاملا معه السؤال : ماذا عن السينمـا الفلسطينية لو استشهد ؟ لكنه كان قد اجاب : نحن مهدنا الدرب وشعبنا معطاء فلا تيأس .. يعود الى عينطورة ليقاتل الانعـزاليين الفاشست الخونة . ويستشهد هاني جوهرية ، ذلك الفتى الفنان.. ذلك الكادر العملي الذي خلق من العدم سينما النضال الفلسطيني.. ولكنه وهو مسجى في كنيسة الروم الارثوذكس تكشف امه الغطاءلتقبل شفتيه المبتسمتين فتعزيها شقيقته قائلة : نعم لقد استشهد لكنـه لم يكن كما بدا ثالث ثلاثة .. لقد خلق جيشا من المصورين والمخرجين السينمائيين المناضلين .. وترك ارثا لكل الفنانين العرب .. انـــه موجود في قلب كل أم عربية وفي عيون كل طفل عربي .

سهيل الخالدى

فلسطين الثورة (بغداد)

٢٢ نيسان ١٩٧٦

* * *

(٣)

« تقرير عن الوضع في لبنان »

روما ـ من نبيل رضا مهايني

فاز فيلم فيصل الياسري القصير الذي أنتجته المؤسسة العامة للسينما والمسرح في بغداد « تقرير عن الوضع في لبنان » بجائزة مهرجان قرطاجة الدولي الاخير . ويعتبر الفيلم بحق رائعة فنية تستحق كـل تقدير . وهو عبارة عن حوار مكثف بين الناقد اللبناني وليد شميط وطفلة لبنانية لاجئة في بغداد عمرها اربع سنوات واسمها رنا .

الافلام القصيرة التي اخرجها فيصل الياسري توحي في الحال بشعور قوي كامن لدى الفنان باللحظة الراهنة التي يريد تقديم رأيه فيها ، أي تقديم فيلم عنها .

يكفينا أن نأخذ « نحن بخير » وفيلمه الاخير « تقرير عن الوضع في لبنان » . فبرغم أن الفيلم الاول لا يتعدى بضع دقائق ولا يتجـاوز الثاني الربع ساعة ، فان الياسري ، يعبر بكل امتلاء في كليهما عـن الموضوع الراهن ، عن وضع السكان العرب في المناطق المحتلة في الاول، وعن الوضع الناجم في لبنان الحبيب في الثاني .

قد يكون محض صدفة أن التقى كل من الياسري والناقد وليـد شميط ، الذي شاركه في اعداد الفكرة ، بتلك الطفلة الرائعة ، رنا، التي تشير في حد ذاتها ، في تكوينها ، في عمرها ، في تعابير نظراتهـا، في غنجها ودلالها ، في جرأتها وتمنعها ، في براءتها واثمها الكامن ، في اشعاعات الحقد والمرح في عينيها ، تشير بهذا كله الى المدينـة موضوع الحديث : الى مدينتها المنكوبة بيروت . لكني أشك على أي حال انه كان بوسع مخرج آخر غير فيصل الياسري ان يحوى المـادة المصورة التي امتلكها (ولنقل تجاوزا : صدفة) الى عمل فنيمتكامل ذي دلالات عميقة ومؤثرة بالفعل . ولا نشير بهذا الى مجرد ادخـاله مواد الأرشيف داخل حديث رنا واخيها نبيل ، بل ـ وقبل كل شيء ـ الى تصرفه ـ بواسطة المونتاج ـ بالمادة السينمائية . وهكذا فـان كل من يجهل مأساة لبنان لابد أن يعرف ، اذا رأى هذا الفيلـم القصير ، الكثير عن الجوانب الانسانية الفاجعة لمأساة لبنان الحبيب.

تقول رنا : « بكبس الزر قوام بتطير طلقـة بتيجي هون ، او بتفوت هون ، أو بتفوت برجله ، أو بتفوت هون أو بتفوت هون »..

كل هذا وهي تشير الى مختلف انحاء جسدها ، وكأن الامـر لايكفي مأساوية حتى نرى ان الياسري يتبع المشهد بمقاطع ارشيفيـة عن قتال في شوارع بيروت .

ويقول أخوها نبيل ـ « هلأ العالم اذا اجت حدهم قذيفـة مابيخافوا ، بدهم صاروخ منشان يخافوا.» .

ثم تغني رنا « كلاشنكوف خلي رصاصك بالعالي » بينما يعدد أخوها الذي لا يتجاوز عمره الثماني سنوات أنواع الاسلحة الثقيلة التي جربها لبنان الحبيب من الدوشكا والهاون والام جي ...

بعدها تقارن رنا ببراءة طفولتها بين الكتائب والحرامية ، وعندها يرينا الياسري المسلحين الملثمين وهم يفتشون السيارات ويقتلـون على الهوية .

في النهاية تعترف رنا : « اذا رجعت قصة الحرب وما خلصت مش راح ارجع على بيروت ، راح اظل هون عند هيفـاء .. بس تخلص الحرب وما تعود بس يبطلوا ، بموتوا كلهـم ، خلص ... نرتاح بنضل هيك قاعدين » .